جهود المحدثين العرب في تحقيق التراث

(قراءة في مشروع أبي فهر محمود شاكر)

د: حورية بكوش

جامعة أدرار (الجزائر)

الملخص :

يتناول هذا البحث قضية تحقيق التراث ويسلط الضوء على جهود المحدثين . ويتناول كنموذج محمود شاكر، إذ عرّفنا به وبجهوده في التحقيق . كما بيّنا مؤهلاته لا سيما تمكّنه من اللغة العربية وكل علومها .

وخلصنا إلى مميزات طريقته في التحقيق فهو صارم ويولي أهمية لوضع الفهارس كما أنّه يستعين بالمصادر الأخرى التي تتناول الكتاب الذي يحققه .

الكلمات المفتاحية :التحقيق التراث , محمود شاكر ، المحدثين , الاستشراق ,العرب .

Résume :

Cet article vise l’étude de l’enquête du patrimoine. Il s’agit des efforts des énonciateurs dans l’œuvre de Mahmoud Chaker en mettant en relief ses efforts dans l’enquête. Nous aborderons, ensuite, ses compétences en l’occurrence en langue arabe et ses sciences. Puis, nous concluons par les spécificités de sa méthode dans l’enquête, il donne de l’importance aux index et aux ressources qui traitent l’œuvre qu’il étudie.

Mots clés : L’enquête, le patrimoine, Mahmoud Chaker, les énonciateurs, l’orientalisme, les arabes

مقدمة :

تحقيق التراث يعدّ من المشاريع الفكرية الهامة الساعية إلى الدرس الأمين لشخصية الأمة .من خلال الأمانة في إجلاء حصاد فكر الأجداد .

لذلك كان تزايد الاهتمام بتحقيق التراث الفكري المخطوط .ووقفت له جهود علمية أكاديمية وسخّر علماء افذاذ سنوات من عمرهم لخدمة المخطوط .

يسعى هذا المقال إلى الإبانة عن جهود العالم الأديب محمود شاكر في تحقيق التراث . متجاوزة في طرحي التفاصيل الحياتية للرجل إلا ما كان له تأثير في سيرورة العالم منه . كما أني تحاشيت الوقوف الملّح الطويل عند المصطلحات والخلافات المسجلة على أعتابها .ذلك أن البحث يحاول الإجابة عن إشكالية مفادها :

_ ماذا قدم محمود شاكر لعلم تحقيق المخطوطات وهل تفرّد بمنهج خاص أو كان لوحده أمة في ذلك ؟

لذلك تسعى المباحث التي وظفت لخدمة الإجابات الممكنة عن هذا التساؤل وروافده .

المدخل : إن محاولة مقاربة التركيب **تحقيق التراث** تستدعي منا تقصي مصطلحي التراث و التحقيق

1_ **التراث لغة واصطلاحا :** تتفق المصادر اللغوية العربية على أن لفظة تراث مشتقة من مادة (ورث).بإبدال الواو تاء بسبب ما يسمى في علم اللغة باسم القياس الخاطئ [1]

وورد في اللسان :«التراث ما يخلفه الرجل لورثته ، وأصله وِرث ووراث وقد أبدلت الواو تاء .... وقيل : الوِرث والميراث في المال ،والإرث في الحسب»[2]..

بمعنى الميراث الذي يحصل عليه المتقدم عن المتأخر سواء كان هذا النصيب من التراث ماديا أو معنويا وفي الكتاب العزيز دلالة على معنى الميراث

المعنوي﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(النمل من الآية 16).فهنا ميراث العقيدة والايمان .

وفي هذا يقول الدكتور أكرم ضياء العمري :« ..إن كلمة التراث في لغة العرب تعني الميراث ، وهو يشمل المال والأحساب ، وقد ورد في القرآن للدلالة على الميراث الديني والثقافي ...»[3].

وقد وردت كلمة التراث في القرآن الكريم بلفظها الصريح مرة واحدة. ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ (الفجر19).أي ميراث اليتامى .

وعليه فالتراث الذي يعني الميراث عند العرب هو ما تُرك للخلف سواء كان ماديا أو معنويا . سواء كان مالا أو حسبا عقيدة أو دينا .

أما اصطلاحا فتعددت عبارات الدارسين المحدثين وكتب المصطلحات في مفهوم التراث [4]وما يعنينا هنا .

«فالتراث الذي نعنيه هو ما خلفته أجيال من العرب في ألوف الكتب والرسائل ما يزال كثير منها مخطوطا في مكتبات العالم في الشرق والغرب على السواء ، وما تحتويه هذه االكتب من آراء ونظريات علمية ليس إلى حصرها سبيل »[5].

ويعرف المحقق عبد السلام هارون التراث بقوله :« التراث هو تلك الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة فوصلت إلينا ، وليس هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث كان فكل ما خلفه مؤلف بعد حياته من انتاج يعدّ تراثا فكريا ، ولقد أصبح شعر شوقي وحافظ وحديث عيسى بن هشام وآثار العقاد والمازني تراثا له حرمته التاريخية ، وله مقداره الأثري »[6]

هذان التعريفان اقتصرا على تعريف التراث المنضوي تحت مظلة الفكر المكتوب المدون .

والملاحظ أن التعريف الثاني قال بالقدم في التراث فما تقدّم من فكر هو للمتأخرين تراث. بغض النظر عن كونه مخطوطا أو مطبوعا كما رأى صاحب التعريف الأول .فعبد السلام هارون يقول في موضع آخر أن كلمة التراث شاع استعمالها بشيوع البحث والتنبيش عن الماضي :ماضي التاريخ وماضي الحضارة والفنون والآداب ، والعلم ، والقصص وكل ما يمت إلى القديم بصلة [7].

ليس المقام مقام تحقيق في مصطلح التراث وإلا كنا أثرنا قضايا عديدة منها علاقة القرآن الكريم والسنة النبوية بالتراث. وعلاقة التراث بالقديم المنطوق الشعبي . ثم مسمى التراث العربي الإسلامي وما يحيط به من تساؤلات .فثمة قضايا أخرى تستدعي انتباهنا منها أهمية التراث العربي وحركة احياءه وقبل ذلك لا بد من تعريف التحقيق .

التحقيق لغة واصطلاحا :

لفظة التحقيق جاءت مصدرا من الفعل (حقّق يحقق تحقيقا وأصل مادته الفعل المضعف حقّ وقد تولدت عنه معان كثيرة تدور عموما حول احكام الشيء وصحته كما يرى ابن فارس وصحته [8].وتدور حول اليقين والتيقن كما يرى صاحب اللسان[9] .التحقيق من إحكام الشيء وصحته والتيقن منه كما دار في المعاجم .وهي معاني مرتبطة بالمعنى الاصطلاحي للتحقيق كما هو آت .

إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه ، واسم مؤلفه ، ونسبته إليه ، وتحريره من التصحيف والتحريف والخطأ والنقص والزيادة [10]و

عبد السلام هارون يوجز فيفي بالغرض العلمي فيراه -أي التحقيق- مصطلحا معاصرا بقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشروط معينة يختصرها في صحة العنوان واسم المؤلف ونسبة الكتاب إليه وإحكام متنه والتثبت منه حتى يكون أاقرب إلى الصورة التي تركها صاحبه [11].

ولا يخفى على أحد حساسة هذا الفعل الحضاري وخطورته ذلك أن التعامل مع المخطوط باعتباره مؤلف قديم بخط يد صاحبه يعدّ عملا أخلاقيا بالدرجة الأولى من حيث ارتكازه على الأمانة .ثم عملا علميا شاقا من حيث عدّته الصبر والدقة والتيقن .

ونظرا لحساسته وخطورته _ أي التحقيق _ تحاشى استعماله واحد من جهابذة التحقيق وهو محمود شاكر إذ كان يفضل استعمال مصطلح قرأ وشرح .كما لو كان يقصد أن قصارى ما يقوم به القراءة الصحيحة للموروث وشرح غامضه [12].

أهمية التراث واحياءه تحقيقا :

من المعروف أن تراث أي أمة كينونتها ، وملامح صيرورتها وسيرورتها وحوار الخلف مع السلف .

وإن أي أمة تسعى لأن تكون في رحاب الركب الحضاري ، منوط بالمخلصين الجادين فيها إجلاء مخزونها التاريخي .لتكون مع الآخر بهويتها وبمرتكزاتها.التراث إذن هو الذي يقي الأمة من التفكك والضياع بحفظ هويتها .هل تراثنا عربي أو اسلامي أو عربي اسلامي مادمنا في حديث عن الهوية ؟

كنت قد اشرت إلى هذه القضية سلفا . فتراثنا عربي من حيث لغة كتابته , ينضوي ضمنه الكتب المترجمة عن الآخر ,وهنا لا بدّ أن نشيد بدور التراث في الحفاظ على مكتسبات أمم أخرى .ثم تراثنا إسلامي مع أن فيه ما كتب بلغات غير العربية لكنه يعبر عن الفكر الإسلامي .والوقوف هنا يجعلنا نتخلص من فكرة تقديس التراث ففيه ماكان غثا وفيه ماهو بعيد عن روح الإسلام لذلك لا ينبغي التعصب للتراث ووسمه بالقداسة .

وطبيعة هذا التراث تتمثل أساسا في المكتبة العربية والتي ترجع بدايتها إلى فجر التاريخ الإسلامي ، عندما قامت حركة التدوين في الق 1 ثم انتهت إلى التصنيف في الق 2 ، وازدهرت كثيرا في الق 3 و4 دون أن نغمط أنماطا أخرى من التراث ليست مما يهم الدارس الأدبي واللغوي .

ومن نافلة القول أن نسهب الحديث عن أهمية التراث ويكفي أن ندلل على ذلك ب[13] :

- امتد التراث العربي لأكثر من خمسة عشر قرن هجري .
- التراث العربي غني في الكمية والكيفية انظر مثلا كتاب كشف الظنون فإنه يحتوي على نحو مائتي فن وعلم .
- سبقنا العلماء الأوربيون في الاعتراف بأهمية التراث العربي وفضله إذ أن الكثير من النظريات المعاصرة في الفلسفة وعلم الاجتماع تعتمد على ما جادت به قرائح أسلافنا .
- في مكتبات العالم – وهي تناهز ألفا وخمسمائة على ما أحصي في كتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين)ثروة تراثية ضخمة خالدة .

ويعد نقل التراث من السلف إلى الخلف عملية من الصعوبة بمكان فاحتمال التصحيف والدس والتحريف من أبرز الأخطار التي تواجه هذا الحراك الهام . لذلك ما كانت حركة احياء التراث وتحقيق المخطوطات بالعمل الفردي غير الممنهج أو المهارات الضحلة والتقنيات البسيطة .بل إن التحقيق صار علما قائما بذاته وثمة مؤلفات كثيرة تسعى إلى الإبانة عن طرق التحقيق وتحذر من مزالقه وترسم اخلاقيات المحقق وعدّته وتبين عن طبيعة المخطوط من خرم وثقوب وتآكل وتباين بين النسخ ..وتوضح طرق التعامل معها .وهي كثيرة ومنها ما كان سباقا لم يستفد من تجارب المستشرقين وجاء التحقيق فيها في تضاعيف الكتاب دون أن يكون خالصا لهذا العلم بيد أنه لم تأل جهدا في التعريف بالعلم وشرح

قواعده **ومن هذه الكتب[14]:**

- مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري.
- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة.
- المعيد في أدب المفيد والمستفيد للعلموي.
- أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني.
- التعريف بآداب التأليف للسيوطي.

ويمكن القول بثقة إن علم التحقيق قد أصبح علمًا قائمًا بذاته، له مناهجه وطرائقه وقواعده ومؤلفاته، وبزغ علـــم آخر جديد من رحم هذا العلم، وهو علم المخطوطات (الكوديكولوجيا).والفت كتب كثيرة تصب في نهر هذين العلمين ، وقد كانت أساسا تقعيدا للعلمين ورصدا لتجارب المشتغلين في هذه الحقول .

أساطين التحقيق العربي المحدثين وجهودهم :

لقد كان التحقيق عند علماءه المتأخرين له أصول صحيحة متينة، وما كان مهارات ضحلة وتقنيات بسيطة، وقد أوضح الباحثون أن هذه المعارف كانت أصلا بنى عليه الأقدمون تصحيحاتهم للكتب بمناهج في غاية الدقة مما جاء بـــه المستشرقون أصحاب هذا النهج ومخترعوه. ويكفي أن نشير هنا إلى أعمال الحافظ اليونيني في إخراج صـــحيح الإمـــام البخاري، وأبي عبيد البكري الأندلسي في شرحه الموسوم :

« اللآلي في شرح أماليالقالي » وعبد القادر البغدادي في كتابه: « خزانة الأدب ولـــب لبـــاب لســـان العـــرب »والقاضي عياض في كتابه: « الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. » ولقد خصص صاحب كتاب منـــاهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين بابا اسماه مناهج التحقيق عند القدماء . قسمه إلى ثـــلاث فصـــول تعـــرض فيهـــا بالدرس وصفا وتحليلا وتمثيلا إلى أصول هذا العلم عند العرب .[15]

ورأى الغرياني صاحب كتاب تحقيق التراث في القديم والحديث أن للمحدّثين دور ريادي بارز في ارساء قواعـــد التحقيق وإن لم ينصوا على ذلك ، بمعنى أن عملهم كان تطبيقا ميدانيا دون تقنين هذا العلم في البدء .

بل يذهب أكثر من ذلك حين يرى أن أولى بذور التحقيق تجلت في معارضة الرسول صـــلى الله عليـــه وســـلم للقرآن وقراءته مع جبريل الأمين مخافة النسيان. ثم ما كان من أمر زيد بن ثابت وهو يعارض مع الرسول مـــا كـــان يكتبه مخافة السقط ، ثم ما اعترى عملية جمع القرآن الكريم من دقّة وتمحيص وتحقيق [16].

وهو يرى أن علماء المسلمين وخاصة أهل الحديث منهم ألّفوا كتبا تشمل قواعد كتابة العلـــم وضـــبطه ويراهـــا مرشدة للمحقق ابتداء من كيفية التعرف على قراءة الخط ، والاهتمام بدراسة صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه . وانتهـــاء بوضع الفهارس , وبيان كيفية استعمال الاختصارات والرموز ، بحيث تكون واضحة ، منبّها عليها في أول الكتاب ، أو في آخره . والمعلوم أن هذه القواعد قد طبّقت عمليا وبقيت منهجا لمن بعدهم .[17]

هل يعني هذا أن ما يعزى من فضل للمستشرقين في إحياء التراث وتحقيق المخطوطات ضرب من ولع مغلوب بغالبه ؟

الواقع العلمي يثبت ما للمستشرقين من فضل في إحياء التراث العربي . والإقرار به وبأهميّته مختلف بين مســـلّم بفضلهم ،أو مقرّ على مضض، أو ناكر جاحد لحركتهم . وليس هذا بمقام التفصيل في الأمر فقد فصل في ذلك كلّ مـــن علي ابن ابراهيم النملة في كتابه اسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي .وخلص إلى نقاط أهمها [18]:

- لا تعميم في الغايات التي انطلق منها المستشرقون فبعضهم غايته علمية وبعضهم غايته هدم وتقويض .
- للمستشرقين السبق في تحقيق التراث ، ولعل أهم سبب عن تأخر المسلمين والعرب عن هذا الحراك هـو الظلمـة التي سادت الأمصار العربية آنداك ,
- ساهم المستشرقون في فهرسة التراث وتحديد مواقع تواجده ,
- كان بعض المستشرقين انتقائيين في تعاملهم مع التراث .

ولمحمود الطناجي في كتابه مدخل إلى نشر التراث العربي حديث هام عن الاستشراق ، ويحصي أهمّ أعلامـه في العصر الوسيط ثم أوجز ملاحظات حول حركتهم في نقاط هامة ومركزة [19].

وعمل على إبراز طبيعة عملهم والمآخذ المسجلة عليهم ، والظروف التي أتاحت لهم التفوق .

والطناجي يميل إلى القول بأن عملهم مستوحى من تراثنا بل إنه يرى أنه رأي المتأخرين من المحققين الجهابـذة قائلا .« فقد اعترف هؤلاء العلماء بما للمستشرقين من فضل ، في إحياء التراث العربي ونشره ، وفق المناهج العلميـة الدقيقة ، ولكن هؤلاء العلماء قد نظروا فيما استحدثه المستشرقون من مناهج ، وما أصّلوه من قواعد ، فإذا هو منتـزع من داخل تراثنا نفسه ، موصول الأسباب والنتائج بما صنعه الأوائل ، والمستشرقون أنفسهم يعرفون ذلك حق معرفتـه »[20] والقول هذا مثبت يقيني حين نقاربه من تحقيق المحّدثين - كما أتينا على ذكره سلفا- .

ولعل من حسنات الاستشراق أنه استنهض الهمم وأثار الغيرة في نفوس أحباب التراث للقيام بتحقيقه وتخريجه وتوثيقه فهو جدير بالإحياء على يد أبناءه عن غيرهم .

حقا دخل رجال مؤمنون بالتراث ميدان التحقيق والنشر ، مزودين بعلم من سبقهم مستفيدين من المراحل التـي سبقتهم في نشر التراث ، مدفوعين بروح عربية إسلامية عارمة مقبلة على التراث إقبال الغيور والمنافح إقبال الوارث الحريص على ميراثه المحافظ على بقاءه الراغب في ازدهاره .

وأشهر هؤلاء الرجال :

- أحمد زكي باشا .

ومن أشهر أعماله :تحقيق كتاب الأصنام لابن السائب للكلبي .

- الشيخ أحمد محمد شاكر.

ومن أشهر أعماله تحقيق مسند الإمام أحمد وتحقيقه لكتاب الرسالة .

- الأستاذ محمود محمد شاكر .

ومن أشهر أعماله تحقيق تفسير الطبري، وطبقات فحول الشعراء، وامتاع الأسماع للمقريزي .

- الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

ومما حققه كتاب معجم مقاييس اللغة، وجمهرة أنساب العرب، وخزانة الأدب .

- السيد أحمد صقر .

ومما حققه كتاب الهوامل والشوامل، ومقاتل الطالبيين، والموازنة بين أبي تمام والبحتري، ودلائل النبوة .

- محمد أبو الفضل إبراهيم .

ومما حققه نهج البلاغة، ومقامات الحريري، والكامل للمبرد، وبغية الوعاة، وثمرات الأوراق

واخترت من هؤلاء الأفذاذ محمود شاكر لأقف على مشروعه موقف الواصف لا المحقق وما ينبغي لي .

محمود شاكر المحقّق المدقق :

عاش تسعين عاماً فقد ولد في الإسكندرية في شهر المحرم من عام 1327هـ الموافق لشهر شباط "فبراير" مـن عام 1909م ، وتوفي في القاهرة في شهر ربيع الثاني من عام 1418 هـ الموافق لشهر آب "أغسطس" 1997م.

ينتمي الأستاذ محمود محمد شاكر إلى أسرة أبي علياء من أشراف جرجا بصعيد مصر، وينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما .

وقد نشأ في بيت علم، فأبوه كان شيخا لعلماء الإسكندرية وتولى منصب وكيل الأزهر لمدة خمس سنوات: (1909-1913م)، واشتغل بالعمل الوطني ، وكان من خطباء ثورة سنة1919م، وأخوه العلامة المحدث أحمد محمد شاكر ، وهو واحد من كبار محدثي العصر، وله مؤلفات وتحقيقات مشهورة ومتداولة.

انصرف محمود محمد شاكر -وهو أصغر إخوته- إلى التعليم المدني، فالتحق بالمدارس الابتدائية والثانوية، وكان شغوفا بتعلم الإنجليزية والرياضيات، ثم تعلق بدراسة الأدب وقراءة عيونه، وحفظ وهو فتى صغير ديوان المتنبي كاملا، وحضر دروس الأدب التي كان يلقيها الشيخ سيد بن علي المرصفي في جامع السلطان برقوق، وقرأ عليه في بيته: الكامل للمبرد، والحماسة لأبي تمام.[21]

قصته مع التراث قصة حب واعتناق . قصة غيرة واصطبار .وقصته مع العربية قصة حدب واعتزاز وقصته مع الهوية قصة فارس تتكسر عنده كل النصال .

أليس محمود شاكر هو الذي هجر الغواني فكان التراث مغناه ؟ .

في الجامعة استمع شاكر لمحاضرات طه حسين عن الشعر الجاهلي، وهى التي عرفت بكتاب«في الشعر الجاهلي». وكم كانت صدمته حين ادّعى طه حسين أن الشعر الجاهلي منتحل، وأنه كذب ملفق لم يقله أمثال امرئ القيس وزهير، وإنما ابتدعه الرواة في العصر الإسلامي وضاعف من شدة هذه الصدمة أن ما سمعه من المحاضر الكبير سبق له أن اطلع عليه بحذافيره في مجلة استشراقية في مقال بها للمستشرق الإنجليزي مرجليوث.

وهذه الحادثة كانت الشرارة . وكانت بداية رحلته مع التراث إذ يقول ابنه الدكتور فهر في مقال لمجلة الأدب الإسلامي : وقد أدى هذا الخلاف بينهما إلى زلزلة عظيمة في نفس والدي _ رحمه الله _ كان من جرائها أن أعاد قراءة الشعر الجاهلي كلّه .[22]

يقول في رسالة كتاب أباطيل وأسمار: «ولهذه الفصول غرض واحد وإن تشعبت إليه الطرق. وهذا الغرض هو ما قلت للأخ الصديق الأستاذ محمد عودة: هو الدفاع عن أمة برمتها، هي أمتي العربية الإسلامية، وجعلت طريقي أن أهتك الأستار المسدلة التي عمل وراءها رجال فيما خلا من الزمان، ورجال آخرون قد ورثوهم في زماننا وهمهم جميعاً كان: أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كل الغلبة على عقولنا، وعلى مجتمعنا، وعلى حياتنا، وعلى ثقافتنا، وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم الذي بناه آباؤنا في قرون متطاولة وصححوا به فساد الحياة البشرية في نواحيها الإنسانية والأدبية والأخلاقية والعملية والعلمية الفكرية وردوها إلى طريق مستقيم علم ذلك من علمه وجهله من جهله[23].

إذن لم تكن معارك محمود شاكر الأدبية منبعثة من داع شخصي، أو منزع قومي ، بل كانت كلها معارك في الدفاع عن الموروث .وأشهرها معركته مع لويس عوض أو معركة المعري ومعركة المتنبي مع أستاذه طه حسين [24].

لا بد وأن الحديث عن هذه المعارك تأريخ وتبين لحقيقة الحياة الأدبية في تلك الحقبة . ولكننا بصدد التعرف على محمود شاكر المحقق وليست هذه المعارك في طريق المحقق إلا أحجار وعثرات .

هذه المعارك الأحجار شادت سلمه الحجري الذي جعله يرتقي برجه المتفرد فكان له من المؤلفات العظيمة الكثير:

-المتنبي (1936)م- القوس العذراء (1952) م –أباطيل وأسمار (1965)م - برنامج طبقات فحول الشعراء(1968) م - نمط صعب ونمط مخيف (1969) م - قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام.

رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (1987)م.

تحقيقاته :

-تفسير الطبري (16 جزءا) ، ولم يتم ، وكان من المنتظر أن يتم في ثلاثين مجلداً.

-طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي(مجلدان).

-تهذيب الآثار ، لابن جرير الطبري (6 مجلدات).

-جمهرة أنساب قريش ، للزبير بن بكار.

-إمتاع الأسماع ، للمقريزي.

-أسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجاني.

-دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني.

-المكافئة وحسن العقبى ، لابن الداية.

-فضل العطاء على اليسر ، لأبي هلال العسكري

والشيخ الذي ترك هذه التحقيقات العظيمة لا ينكر جهود من صحبوه في عالم المخطوطات .حتى وإن كان صنيعهم معه مجرد عين لقفت حبهم للخطوط، وأذن سمعت حفيف أوراقهم في خزانات كتبهم المعمورة. فيذكر في مقاله ذكريات مع محبي المخطوطات هؤلاء ويستهل حديثه عنهم بقوله :

« نعم نشأت منذ صغري في الحادية عشر والثانية عشر ، على يد رجل كان خبيرا بالكتب وهو أمين أفندي الخانجي ، صحبته طويلا ولكنه لم يستطع لا هو ولا من سألتهم فيما بعد ، لم يستطع أحد منهم أن يعدني لأن أكون من الرجال العاملين في ميدان المخطوطات العربية ، لأن هذا الميدان محتاج إلى صفات معينة وأنا لا أملك من هذه الصفات شيئا »[25] محمود شاكر المحقق بنفي عن نفسه صفة التحقيق وليس الأمر بمستغرب ، أو خاطر عنّ له في هذا المقال .

و فهو لا يحب أن يوصف بأنه محقّق لنصوص التراث العربي، وإنما يحبّ أن يوصف بأنه قارئ وشارح لها ، وهو يكتب على أغلفة الكتب التي يقوم بتحقيقها عبارة: "قرأه وشرحه" لأن المطلوب _ حسب رأيه _ من نشر الكتب ، هو أن يكون مقروءا حسب موضوعه وشاكر كما يقول قرأ كتاب طبقات فحول الشعراء _ مثلا _ وشرحه شرحا وافيا للناشئة [26].

ولست أرى إلا تطبيقا لمنهجه النقدي في التذوق قائما في قراءته وشرحه للمخطوط دون أن يتخلى عن أمانته العلمية في إيصال الموروث الذي يحرسه ويحدبه . قلت أنه صحب محبي المخطوطات ومنهم تيمور وأحمد زكي باشا والشيخ محمد عبد الرسول الذي يراه عبد السلام هارون من المبكرين في التحقيق على بساطة منهجه .

معالم منهجه في التحقيق :

ليست المعارك الأدبية وحدها القادرة على الدفاع عن العربية وصد هجمات أعداءها . بل إن إحياء التراث _ كما أسلفت الذكر- أمضى الأسلحة وأقوى الحصون لحراستها . وشاكر حارسها الأمين الذي نقب في التراث وأخرجه في أحسن حلله التي أرادها له أصحابه . وفي قراءته وشرحه للتراث معالم بارزة يمكن حصرها في :

1_ أوتي محمود شاكر حظا وافرا من اللغة العربية وعلومها وبصر بأسرارها وأساليبها مما أعانته على التحقيق الرشيد للتراث . واتفق جل المؤرخين المتأخرين على كون التحقيق عملا مستندا على اللغة تصحيحا للمتن وتدقيقا لمعانيه، وإخراجا له على الصورة التي وضعه عليها مؤلفه ، أو أقرب ما يكون إلى تلك الصورة. فقراءة النص قراءة صحيحة سليمة، وتصحيحه بناء على الضوابط اللغوية المتعارف عليها خطا ونحوا ولغة.لا يؤتى إلا لمن أحكم القبض على لغته إذ نجده في تحقيقه لطبقات فحول الشعراء بضع فهرسا عجيبا بعنوان : **ألفاظ من اللغة أخلت بها المعاجم أو قصرت في بيانها.**[27]

ووضع فهرس كهذا لدليل على استقصاءه لكل معاجم اللغة ، إذ كيف يستطيع أن يكتشف ألفاظا قصـــرت فـــي بيانهـــا المعاجم ؟ ودليل أيضا على قسوة الشيخ على نفسه في منهج التحقيق .

والعناية بالفهارس سمة مميزة له فقد كان في تحقيق الطبقات تسعة فهارس منها المذكور سابقا ثم فهارس العربية والنحو والفوائد وفهرس الأعلام والأماكن والقبائل والغزوات والأيام ، والأشعار والأرجاز كذا الموضوعات .

وأساس البيان عنده التذوق فيرى أنه أساس عملنا الأدبي في آثار أسلافنا وأن نلاقي كلمات أخبارهم التي أثـــرت عـــنهم بالفحص النافذ .

2_ لقد انبرى محمود شاكر في تحقيقه إلى العناية بما نعدّه أصولا فاشتغل عليها قراءة وشرحا .

فمحمود شاكر – إذن - يرى أن المحقق لا بدّ أن يعي أهميّة التراث ويحسن انتقاء ما يخدم الضاد فلا مناص أن فـــي التراث ما هو غث . والمؤكد أنه ليس كل مخطوط قمين بأن يصرف له جهد لإخراجه .

3_ منهجه عسير تصعب محاكاته متصل بعقيدته بدءا ، متّسم بالقسوة في التعامل مع المخطوط . يروي أحد تلامذتـــه رحلته الشاقة المضنية في جمع نسخ مخطوط ديوان ذي الرمة من شتى المكتبات العالمية وبلغت 42 نسخة حتى بلغ مبلغا من إشفاق أستاذه شوقي ضيف عليه . بيد أنّ التلميذ أذعن لقسوة شيخه ؛ لأنه أدرك أنها تفضـــي إلـــى الدقـــة والأمانة . فقد كان منهج محمود شاكر في جمع النسخ يعتمد إستفراغ الجهد في التحقيق .

فالشيخ حريص على جمع النسخ و اختيار أصل منها ، ودراستها مع وصف شاف لها ويصف في الحاشية فروق النسخ والإشارة إلى أخطاء النساخ . [28]دون أن يسهب في ذكر كل شاردة وواردة وصفا فقط كما يفعل بعض المحققين .

4_ تعليقاته على ما حقق ونشر متميزة عن غيره ، من حيث اهتمامهم بتوثيق النقول وتخريج الشواهد وشرح الغريـــب فقط . بل شملت :

- ذكر أرائه في العقيدة– التفقه والفهم في اللغة – معرفة التفسير وتاريخ الرجال – عداوات الأمم الأخرى [29]

تعليقاته مدرسة تراثية إذ أنه يشرح ما يحتاج شرحه ، و لا يسلم بالشروح المعدة سلفا ويعتمد في تقييـــد الشـــعر علـــى المصادر الأساسية . كما يترجم للأعلام

5_ يستعين محمود شاكر بالمصادر الأخرى التي تنقل عن الكتاب الذي يعمل في تحقيقه ، أو تروي عنه وذلك للإثبات أو الزيادة. حتى أنه يصحح ما وقع في الأصل من أخطاء بإثبات ما يراه صحيحا في المتن والإشارة إلى مـــا عليـــه الأصل في الهامش ، ولعل ملكة التذوق والدراية العالية العميقة باللغة والتراث تسعفانه في ذلك ,

6 _ يتجنب حشد المراجع الكثيرة عند كل مكان بشكل لا ينتفع به القارئ [30]بل يصرف جهده في رصد نصوص الشعر الشاردة ويستحضر الخفي المشكل من القضايا كما ذكرنا سلفا .

7- يصدر الكتاب بمقدمة للتعريف بالمؤلف وكتابه والتحقيق في عنوانه كما يتحدث عن الطبعـــات الســـابقة ويدرســـها دراسة نقدية كما فعل مع طبقات الفحول حيث خصص بابا لنقد الطبعات التي سبقته. ومنها طبعة المستشرق هل .

وختاما :

محمود شاكر أمّة لوحده عبّ من معين التراث حتى خالطه وصار من سيمياءه في عصرنا .

جهوه في تحقيق التراث أكبر من هذا البحث . ولكننا حاولنا مقاربة هذا المشروع بل لأقل إلقاء الضوء عليه .

لأخلص في النهاية إلى كوننا مع محقق وحارس للتراث عدّته مكنته في اللغة وموسوعية ثقافته . وأســـلوبه فـــي التحقيق منطبع بالصرامة والدقة وعدم التسليم بالكمال لمن سبق . تعد تحقيقاته بل شروحه. مدارس لكل ناهل .ألـــيس التحقيق إذن نمط صعب ومخيف لا أسمار وأباطيل ؟ .

[1] - ينظر مفهوم القياس الخاطيء في كتاب مناهج تحقيق المخطوطات بين القدماء والمحدثين دكتور رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة ط1 1985 ص 8 وما بعدها .

[2] - ينظر لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت دت مادة ورث ص

[3] - التراث والمعاصرة ، الدكتور اكرم ضياء العمري سلسلة كتاب الامة قطر ط 2 , 1406 هـ ص 26 .

[4] - فالتراث بصفة عامة هو ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل نقول التراث الإنساني واالتراث الأدبي والتراث الشعبي ...

[5] - تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره ، دكتور عبد المجيد دياب دار المعارف ط2 دت ص 12

[6] - قطوف ادبية دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث عبد السلام محمد هارون مكتبة السنة ط1 1988 ص 29 .

[7] - المرجع نفسه ص 12.

[8] - للاستزادة ينظر مقاييس اللغة ابن فارس مادة حقّ

[9] - للتوسع ينظر لسان العرب لابن منظور مادة حقّ

[10] - تحقيق النصوص بين الواقع والنهج الأمثل . عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض 1994 ص 36 .

[11] - ينظر: تحقيق النصوص ونشرها عبد السلام هارون دار النهضة العربية .ط 1 . 2001 ص 43

[12] - تحقيق النصوص عبد الله العسيلان ص 37

[13] - قطوف أدبية _ مرجع سابق _ ص 31 .

[14] - علم التحقيق . مية مجاهد شعبان مقال في موقع أرض الحضارات http://www.landcivi.com/new_page_190.htm

[15] - للتوسع ينظر مناهج تحقيق النصوص بين القدماء والمحدثين دكتور رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة ط1 1985 .من ص 13 إلى

[16] - ينظر تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث . الصادق عبد الرحمن الغرياني منشورات مجمع الفاتح للجامعات 1989 ص 15_17 .

[17] - ينظر المرجع السابق ص 19 وما بعدها واالكاتب يأتي بمسرد لأهم الكتب التي ألفوها مخصوصة لبيان هذه القواعد كما تناول باسهاب أصول و قواعد هذا العلم ومكملاته والأمور المساعدة على ذلك ينظر من ص 19 – 56

[18] - ينظر اسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي أد علي ين ابراهيم النملة مكتبة الملك فهد ط1 1996 ص 43 -46

[19] - للتوسع ينظر هذا الكتاب ص 206 وما بعدها .

[20] - مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي لمحمود محمد الطناجي مرجع سابق ص 92

[21] - هناك مراجع عديدة تناولت سيرته منها :كتاب من اعلام العصر لابن اخيه اسامة شاكر يتناول فيه حياة والده وجده وعمه محمود شاكر .عدد خاص من مجلة الأدب الإسلامي التي تصدرها رابطة الادب الاسلامي العدد السادس عشر ربيع الآخر _ جمادى الآخرة 1418 .كتاب لمحمود إبراهيم الرضواني" شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود محمد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق"، أو في كتاب" دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أبي فهروهو كتاب أعده عدد من محبيه وتلامذته بمناسبة بلوغه سن السبعين وأهدوه إليه.

[22] - أبي ...محمود شاكر مقال لمجلة الأدب الإسلامي بقلم د فهر محمود شاكر العدد المذكور سلفا ص 8 .ويروي محمود شاكر رحلته مع التراث في كتابه رسالة في الطريق إلى ثقافتنا .

[23] - اباطيل وأسمار محمود شاكر رسالة الكتاب مكتبة الخانجي دط . دت ص 7 .

[24] - للاستزادة ينظر معارك محمود محمد شاكر الأدبية الدوافع المضامين النتائج د حلمي محمد القاعود مجلة الأدب الإســـلامي العدد المذكور ص 28 – 36

[25] - جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر ، جمعها وقرأها وقدم لها الدكتور عادل سليمان جمال ،ج2 مكتبـــة الخـــانجي القـــاهرة .ص1228 .

[26] _ينظر المرجع نفسه ص 1230 وما بعدها .

[27] - ينظر مقال الشيخ محمود شاكر كما عرفته د عبد القدوس أبو صالح مجلة الأدب الإسلامي عدد خاص ص15 .

[28] - ينظر تحقيق المخطوطات مرجع سابق ص 99 .

[29] _ ينظر :مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي _ محمود محمد الطناجي ص 115 وما بعدها

[30] - ينظر مقدمة تحقيق طبقات فحول الشعراء الج1 ص 71 كتاب الكتروني .